محاضرات في علوم القرآن

المحاضرة الخامسة
المكي والمدني في القرآن الكريم

نشأة علم المكي والمدني:

إن هذا القرآن الكريم لم ينزله الله تعالى على نبيه ρ جملة واحدة، بل أنزله منجمًا ومفرقًا بحسب الوقائع التي تقتضي نزول ما ينزل منه. قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا □ }[الفرقان: 32]. أي: أنزلناه كذلك لتثبيت فؤادك بالوحي المتتابع الذي تتجدد به صلتك بالله عز وجل.

وكان نزول القرآن على نبينا ρ في مدة ثلاث وعشرين سنة تقريبا، فبعضه نزل في مكة، وبعضه الآخر نزل بالمدينة بعد الهجرة، فكان ينزل عليه القرآن أينما أقام في السفر والحضر، فكان منه المكي والمدني.

" ولا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك, لأنه لم يرد عن النبي ρ بيان للمكي والمدني. وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان ,كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل, ويشهدون مكانه, وزمانه, وأسباب نزوله عيانا, وليس بعد العيان بيان" [1].

تعريفات للمكي والمدني:

التعريف الأول: أن المكي ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول ρ إلى المدينة حتى ولو نزل بغير مكة، والمدني ما نزل من القرآن بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة. وهذا التعريف روعي فيه الزمان.

---

[1] ـ مناهل العرفان في علوم القرآن, محمد عبد العظيم الزرقاني, مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه, الطبعة: الطبعة الثالثة, (1/ 196).

التعريف الثاني: أن المكي ما نزل من القرآن بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل على النبي ρ بمنى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها أيضًا كالمنزل عليه في بدر، وأحد، وسلع.

وهذا التعريف لوحظ فيه مكان النزول، لكن يرد عليه أنه غير ضابط ولا حاصر؛ لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما، كقوله تعالى في سورة التوبة: [لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ] الآية [التوبة: 42] فإنها نزلت بتبوك، وقوله تعالى في سورة الزخرف: [وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ]الآية [الزخرف: 45] ، فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء.

التعريف الثالث: أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة. وهذا التعريف لوحظ فيه المخاطبون، لكن يرد عليه أنه غير ضابط ولا حاصر، فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما، نحو قوله تعالى في فاتحة سورة الأحزاب: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ] الآية [الأحزاب: 1]، وقوله تعالى في سورة الكوثر: [إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ] الآية وغيرهما.

ويرد عليه أن هناك سورًا مدنية ورد فيها الخطاب بصيغة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وسورًا مكية ورد فيها الخطاب بصيغة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا).

مثال الأولى سورة البقرة، فإنها مدنية وفيها [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ] الآية، ومثال الثانية سورة الحج، فإنها مكية عند بعض أهل العلم، وفيها [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا] الآية.

فالراجح من هذه التعريفات الثلاثة هو التعريف الأول للأسباب الآتية:

1- أنه ضابط وحاصر ومطرد لا يختلف، واعتمده العلماء واشتهر بينهم.

2- أن الاعتماد عليه يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني.

3- أنه أقرب إلى فهم الصحابة - رضي الله عنهم - حيث إنهم عدوا من المدني سورة التوبة، وسورة الفتح وسورة المنافقون، ولم تنزل سورة التوبة كلها بالمدينة، فقد نزل كثير من آياتها على رسول الله ρ وهو في طريق عودته من تبوك، ونزلت سورة الفتح على النبي ρ وهو عائد من صلح الحديبية، ونزلت سورة المنافقون عليه، وهو في غزوة المصطلق.

فوائد معرفة المكي والمدني:

1- معرفة الناسخ والمنسوخ، فالمدني ينسخ المكي؛ إذ أن المتأخر ينسخ المتقدم.

2- الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم؛ إذ أن معرفة مكان نزول الآية تعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها، وما يراد فيها.

3- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

4- استخراج سيرة الرسول ρ، وذلك بمتابعة أحواله بمكة المكرمة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها.

5- بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به حيث إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني فحسب، بل تتبعوا أماكن نزوله، ما كان قبل الهجرة وما كان بعدها، ما نزل بالليل وما نزل بالنهار، ما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء، إلى غير ذلك من الأحوال.

6- معرفة أسباب النزول، إذ أن معرفة مكان نزول الآية توقفنا على الأحوال والملابسات التي احتفت بنزول الآية.

7- الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالمًا من التغيير والتحريف.

القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني:

القاعدة الأولى:

القول في تفاصيل المكي والمدني موقوف على النقل عمن شاهدوا الوحي والتنزيل.

القاعدة الثانية:

الأصل في السورة المكية أن تكون كل آياتها مكية، ولا يقبل القول بمدينة بعض آياتها إلا بدليل استثنائي صحيح، كما أن السورة المدنية يحكم بجميع آياتها بأنها مدنية، إلا ما خرج بدليل استثنائي صحيح.

القاعدة الثالثة:

القرآن المدني ينسخ المدني الذي نزل قبله، وينسخ المكي أيضا، ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني.

القاعدة الرابعة:

المدني من السور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض على حسب ترتيبه في التنزيل.

القاعدة الخامسة:

قد يستمر نزول السورة فتنزل في أثناء مدة نزولها سور أخرى.

ضوابط المكي ومميزاته الموضوعية[1]:

1- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

2- كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن. وذُكرت ثلاثًا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة.

3- كل سورة فيها: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] وليس فيها: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ] فهي مكية، إلا سورة الحج ففي أواخرها: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا] . ومع هذا فإن كثيرًا من العلماء يرى أن هذه الآية مكية كذلك.

4- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى البقرة.

5- كل سورة فيها آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة كذلك.

ضوابط السور المدنية وخصائصها:

أولًا: الضوابط:

1- كل سورة فيها إذن بالجهاد أو ذكر له وبيان لأحكامه فهي مدنية.

2- كل سورة فيها تفاصيل لأحكام الحدود والفرائض والحقوق، والقوانين المدنية والاجتماعية والدولية فهي مدنية.

3- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت، إلا أن الآيات الإحدى عشرة الأولى منها مدنية وفيها ذكر المنافقين.

4- كل آية بدأ فيها الخطاب بقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ] فهي مدنية.

ثانيًا: الخصائص:

1- سلوك الإطناب والتطويل في آياته وسوره.

2- سهولة ألفاظها وخلوها من الغريب اللغوي في الغالب.

3- الأسلوب الهادئ والحجة الباهرة عند مناقشة أهل الكتاب، والأسلوب التهكمي عند مجادلة أهل الكتاب وفضح نواياهم الخبيثة.

4- التحدث عن التشريعات التفصيلية, والأحكام العملية في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية.

---

[1] - ينظر: مباحث في علوم القرآن, مناع القطان.

5- بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد، وحكمة تشريعه، وذكر الأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات والمعاهدات والصلح والغنائم والفيء والأسارى.

6- دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة وبيان ضلالهم فيها.

7- بيان ضلال المنافقين وإظهار ما تكنه نفوسهم من الحقد والعداوة على الإسلام والمسلمين هذه الأربعة من الخصائص الموضوعية.

ونرى الآن وعلى ضوء الروايات السابقة، وأقوال أهل العلم، والضوابط المذكورة ما هي السور المدنية المتفق عليها، ثم نرى التي اختلف بين مكيتها ومدنيتها مع ذكر القول الراجح فيها، والله الموفق

السور المدنية المتفق عليها:

1- البقرة 2- آل عمران 3- النساء - المائدة 5- الأنفال 6- التوبة - النور 8- الأحزاب 9- الفتح - الحجرات 11- الحديد 12- المجادلة - الحشر 14- الممتحنة 15- الجمعة - المنافقون 17- الطلاق 18- التحريم

السور المختلف فيها:

1- الفاتحة 2- الرعد 3- النحل - الحج 5- العنكبوت 6- محمد ρ - الرحمن 8- الصف 9- التغابن - الإنسان 11- عبس 12- المطففين - الفجر 14- الليل 15- القدر - البينة 17- الزلزلة 18- النصر - الإخلاص 20 - الفلق 21- الناس

وما عدا ذلك مكي، وعددها خمس وسبعون سورة.

بيان القول الراجح في السور المختلف فيها:

سورة الفاتحة: مكية في جميع الروايات والأقوال المذكورة.

سورة الرعد: مكية لاشتمالها على خصائص السور المكية، وكذا في رواية أبي عبيد، والنحاس، وهذا لا يمنع وجود آيات مدنية فيها.

سورة النحل: مكية لما جاء في معظم الروايات، ولاشتمالها على خصائص السورة المكية.

سورة الحج: مكية، بها آيات مدنية.

سورة العنكبوت: مكية لما جاء في معظم الروايات، ولاشتمالها على خصائص السور المكية، لكن في أولها آيات مدنية.

سورة محمد ρ: مدنية لما جاء في معظم الروايات، ولاشتمالها على خصائص السور المدنية.

سورة الرحمن: قال السيوطي: الجمهور على أنها مكية، وهو الصواب. وتتميز بمزايا السور المكية أسلوبا وموضوعا.

سورة الصف: مدنية في معظم الروايات، وهي تعالج موضوع الجهاد الذي لم يفرض على الأمة المؤمنة إلا بالمدينة المنورة.

سورة التغابن: مدنية في أغلب الروايات والأقوال.

سورة الإنسان: مكية لاشتمالها على خصائص السور المكية، وهو الذي رجحه بعض الباحثين.

سورة الفجر: مكية لما جاء في معظم الروايات، ولاشتمالها على خصائص السور المكية.

سورة الليل: مكية في أغلب الروايات والأقوال.

سورة القدر: مكية عند الأكثر.

سورة البينة: مدنية في معظم الروايات.

سورة الزلزلة: مدنية في أغلب الروايات والأقوال.

سورة النصر: مدنية في جميع الروايات.

سورة الإخلاص: مكية في معظم الروايات.

سورتا الفلق والناس: مدنيتان على الراجح.